

جسر بيت شوجين

بقلم: إ. بيرميالك

ترجمتها من المروسيّة أ. د. حامد طاهر

في الطريق إلى المدرسة ، تعود جماعة من التلاميذ الحديث عن المآثر.

قال المصبي الأول : ما اروع إنقاذ طفل من المحريق!

وتخيّل المثالي: أروع منه اصطياد أكبر كركي .. على المفور يعرّفه الناس جميعاً.

وقال المثالث: أروع من هذا كلّه أول من يطير إلى القمر ، فإن العالم كلّه سيعرف صاحبه!

لكن (بيتلوجين) لم يفكّر في شيء من هذا . فقد كان فتى هادئاً، صامتاً . ومثل باقي زملائه، كان بيتلوجين يفضل الذهاب إلى المدرسة من طريق قصير عبر نهر صغير عند شاطئ شديد الانحدار . وكان عبوره وشبّاً من أصعب الأمور .

في العام الماضي، لم يتمكن تلميذ صغير من المقفز فسقط في الماء، وما زال يرقد في المستشفى . وفي هذا الشتاء، عبرته فتاتنان في الجليد فعثرت أقدامهما عليه . وهكذا تعالت المصريخات منه . وحرمت جماعات التلاميذ الصغار من استخدام هذا الطريق القصير . وكم يكون المسير مرهقاً وطويلاً، عندما يوجد طريق آخر قصير!

وها هو بيتلوجين يفكّر .. ويهدى أخيراً إلى ضرورة قطع صفصافه قديمة من هذا الشاطئ ليُسقطها على الشاطئ الآخر . وكانت لديه "بلطة" جيدة، مشحونة من عهد جده، فراح يقطع في الصفصافة وقد اتضحت بعد قليل أن هذا عمل غير سهل . فقد كانت الصفصافة غليظة جداً، لا يمكن لإنسان واحد أن يضمها بذراعيه الماثنتين . لكنها بعد يومين من العمل المتواصل سقطت .. راقدة عبر النهر الصغير ثم كان على بيتلوجين أن يشذب فروع الصفصافة التي تعلق المسير، وتشتبك تحت قدميه .

لكنه - بعد أن قطع المفروع - وجد أن المسير أصعب . لأنه لم يكن هناك شيء يمكن الاستناد إليه وخاصة عندما يسقط الجليد .. وتقرر بيتلوجين أن يركب سوراً من أعواد الخشب .

وهكذا ظهر جسر جديد . ولم يعد التلاميذ فقط هم الذين يستخدمونه وإنما كل سكان المنطقة عندما يعبرون من قرية إلى قرية أخرى ، بواسطة طريق قصير . حتى أن أولئك الذين كانوا يستخدمون الطريق غير المباشر ، كان يقال لهم :

- هل تريدون أن تقطعوا مسافة سبعة ألف متر ! اذهبوا مباشرة عن طريق جسر بيتلوجين .

وعندما تأكلت الصفصافحة ، وأصبح المسير عليها محفوظاً بالمخاطر استبدل بها أهالي القرى المجاورة جذع شجرة أخرى جيدة .. لكن بقي الاسم الأسبق للجسر ، وهو : بيتلوجين .

ثم لم يلبث هذا الجسر أن تغير، وأصبح طريقاً معبداً، وعبر النهر المسريع، امتد الطريق، في نفس مكان ذلك الممر المصغير، حيث شيدت الحكومة جسراً كبيراً، ارتفعت على جانبيه قوائم من حديد المزهور. وكان من الممكن أن يطلق على هذا الجسر الضخم اسم كبير. لكن أحداً لم يفكر على الإطلاق في أن يطلق عليه أي اسم آخر سوى: جسر بيتشوجين !

وبهذه الطريقة وحدها، يمكن أن يصبح للإنسان اسم في الحياة!